١٤- مع مديري التعليم

... وكـــان الله في عـــون الإخـوة مـــديري التعليم، فكم يجدون من الحرج، وكم يلقون من العناء، وكم يُكابدون الميدان التربوي، ويجدون فيه من الصور المؤلمة، ولكنهم يسعدون بتصحيح الخطأ، وتعديل المعوج، وتقويم المقصر.

ولكوني قد عـملت مديراً للتـعليم بالرياض فقد كنت أعيش هموم مديري التعليم، وأعرف مُـعاناتهم؛ ولـهذا كنت أتعـاطف مع مطالبـهم وأقدر رأيهم، وأميل لاقتراحاتهم، وأزور مناطق التـــعليم مـــا بين الحين والآخـــر، وأتجـــول في المدارس بصحبـتهم وألتقي بمديري المدارس في

اجتماعات مسائية، وأتحاور معهم وأسمع منهم وكنت أسعد بمدير التعليم حينما يزور الوزارة وأسمع رأيه، وأستجيب لمطالبه في الأغلب وكان التفاعل قائمًا مع مديري التعليم؛ فهم إخوة وزملاء نتبادل معهم الرأي، ونتهادى المشورة، وكثيرًا ما عبر الإخوة مديرو التعليم عن مشاعرهم الأخوية وعواطفهم الشخصية بكلمات ألمس فيها الصدق والحب، يقول أحدهم من قصيدة مؤثرة ومعبرة:

منِي إليك مع الصباح تحية
جادت بواكِفِها تهُلُّ وتُغْدِقُ
منِي إليك مع المودةِ دعوة
تهفو إليك وبالسعادة تُشرِقُ

منـي أبا تركي إليك أسوقـها

بالصـدق وارفة الوفـا لَك تسـبقُ

أوليـــتنا بـزيارة أخـــوِّية

في كل شـــاهقـة تُطل وتَـسـمقُ

في كل كأداء الجـبال مـعينة

ومع المصـاعب من شـذاها أنشُقُ

وتزيدني صبراً إذا ما ضَحْضَحَتْ

في ملتـقى الأصدار شـمس تحرق[1]

وإذا أتيـتُ لمكتـبٍ أركـــانُه

من هولِ صيحات المراجع تُصعَقُ

---

(١) ضحـضحت: اتضـحت واشتـد لهيبـها. الأصـدار: جمع صدر أعـالي الأودية مع ملتقاها بالجبال.

هانت على نفسي لأن لنا أخٌ
عــونٌ لنا ومع المحــبــة يُشــفِقُ
وإذا أتيت إلى الوزارة راجيًا
عــونًا أهَلَّ بكل خــيــرٍ يُبــرِقُ
فأزال عن قلبي همومًـا جمّةً
وأراحنـي من كل خـطبٍ يُـزهِقُ
لبى جـميع مطالبي وأمـدني
بنعـم وأبشــر ثم خــيــرٍ يـلحقُ
هذي وتلك تُعينني وتُريحني
حسـبي من الدنيا صـديقٍ يصدقُ
الله يشـهد مـا كـتبت تملقـا
مـا كــان طبـعي للصــديق تمَلّقُ

لكنهـا يا ابن الكرام مـحـبـةٌ
أزجيـتهـا من فيض صِـدقٍ تعْبقُ
فجزاك من أعطاك قلبًا حانيًا
جنات عـدن خـيـرُها لك يُغْـدِقُ
وأمدك الوهابُ بالنُعمى التي
في كل خطـوٍ هديُهـا لـك يلحقُ

وإني أرجو من أخي مدير الـتعليم، صاحب هذه القـصيـدة، المعذرة فـي عدم البـوح باسمـه حيث لا يزال في موقع العمل، وقد يقول قائل:

إنه كان يتزلف وينافق وكيل الوزارة، ويعلم الله؛ إنه أكبـر من ذلك، فبعـد أن تركت العمل الرسمي وجـدت أن مشـاعره ازدادت، وأيقنت

أن عـواطفه كـانت لله وفي الله. جـمـعني الله وإياه في دار كرامـته، وجعلـني وإياه ممن تحابوا في الله، وعـملوا لـله. وفـقـه الله في رسـالتـه وجعل أعمالنا خالصة لوجهه.

وإن هذه القـصيـدة وأمـثالهـا تُوضح عُـمق الروابط، وصـــدق المشـاعـر، وأن الانســجـام والاحتـرام بين المسؤولين في الوزارة كـان هدفًا وغـاية كُنت أسـعى إليهـا، وإني أرى أنه بهـذه الروح يتـفـــانى الموظفـون في العـــمل، وبهـذه الأخلاق يتـفاعل المسـؤولون في الأداء، ويزداد عطاؤهم ويشـعرون بالحـرج والخجل في حـالة التقصير، ومعلوم أن لـلإنسان مشاعر وعواطف

وكَسْبُ هذه العواطف هو النجاح والتميز، وإنه متى ما اتقى المرء ربه وصَفتْ نيَّتُه واستشعر حضور الكرام الكاتبين؛ فإن التوفيق يرافقه والطمأنينة تصحبه، والمحبة تلازمه.

على أني أرى أن الفشل عندما تغيب هذه الروح ويكيد البعض للبعض ويتباعدون ويتعالى الأكبر على من هو أكبر منه؛ فإن الفجوة تزداد ويُصبحون مجموعات وأحزابًا يكيد بعضهم لبعض، وينصرفون عن المصلحة العامة، ويصيح فيهم طائر الشوم، وينسون الأهداف السامية التي اجتمعوا لأجلها.

وكان مديرو التعليم يجدون الحرج من بعض مديري المدارس المقصرين لأقدمية

بعضهم، ولقوة شخصية البعض الآخر وللرغبة في عدم الجدال والخصام مع هذا أو ذاك.

وكنت أرى الحزم والتدرج في المحاسبة ومنح المهلة، وإبلاغ المقصر بما عليه من الملاحظات ومتابعته ثم الحزم معه، وأن تكون المعاملة للجميع واحدة، وأنه لابد من الهيبة وفي الميدان فئات يجب مراقبتها ومتابعتها، مع أن الأغلب -ولله الحمد - يمتازون بالحس التربوي ورقابة الضمير، والشعور بالمسؤولية واستحضار الأمانة، ونجد مدارسهم أنيقة وتُؤدي رسالتها خير أداء، وكنت وما زلت أردد مقولة: إن محاسبة المقصر إكرام للمجد.

ولهذا عندما نجد مدرسة قد ظهر لديها الخلل التربوي، وبان من إدارتها التقصير والإهمال؛ فإن الحزم الفوري يتخذ، والمحاسبة المباشرة تنفذ، وأتذكر من ذلك أنني صحبت أحد الإخوة مديري التعليم في زيارة ميدانية للمدارس لنراها على حقيقتها، ونشاهد المربين حسب الواقع، ووفق أدائهم اليومي، وتعمدت أن نختار المدارس اختياراً عشوائيًا، وألا نشعرهم بزيارتنا وإنما نحدد المدرسة ونحن في الطريق فالمدارس منتشرة في كل حي وفي كل شارع، ودخلنا ذات يوم إحدى المدارس الابتدائية في إحدى المناطق ووجدنا مجموعة من الطلاب في الساحة، فتوقفت عندهم حيث

لفت نظري كثرتهم والوقت في منتصف اليوم الدراسي، وسألت المعلم الموجود بينهم عن هؤلاء الطلاب فتهرب من الجواب ولسان حاله يقول: مالك ولهذه الأسئلة فقد ظن أني أحد أولياء الأمور ومعي صاحبي، وما عرف أن الضيوف وكيل الوزارة ومدير التعليم؛ وعند ذلك زجره مدير التعليم وأمره بالإجابة وعَرَّفه على الضيوف وارتبك المسكين وأجاب على الفور أن مع طلابه طلاب فصل آخر استأذن معلمهم من مدير المدرسة لهذه الحصة وخرج لظرف خاص يَعْلَمُه مديرُ المدرسة، ورآنا أحد المعلمين ونحن نُحاور هذا المعلم فأسرع إلى مدير المدرسة وأخبره بوجودنا فجاء مسرعًا

وسلم وسألته عن المعلم المستأذن ولِمَ أذن له وترك طلابه؟

فقال المدير: إن المعلم لديه ظروف استوجبت خروجه.

قلت: سلامات إن شاء الله، وعسى في الأمر خير.

قال المدير: -وليته سكت - إن المعلم استأذن ليتسلم راتبه من البنك.

قلت: -وقد ساءني هذا القول، وآلمني هذا الخبر: واحسرتاه، وا أسفاه، لماذا لم ينتظر حتى انتهاء الدراسة؟ ولم يجب الرجل وشعر بالحرج والخجل.

obeikandl.com

وتجولنا في المدرسة وتوقفنا في أحد الفصول لنسمع ونرى أحد المعلمين الذي بادر بالترحيب واستمر في التفاعل مع طلابه، وكان معلمًا ألمعيا ومربيًا فاضلاً سرَّنا أداؤه وأبْهَجَنا عطاؤه وزودنا بصورة مشرقة في هذه المدرسة. وبعد جولتنا في هذه المدرسة انتقلنا إلى المرحلة المتوسطة حيث كانت تشغل الدور الأعلى من المبنى المذكور، وكان لها مدخل خاص وتجولنا في المدرسة المتوسطة وكان كل شيئ على ما يرام ثم عُدت للمدرسة الإبتدائية فقد لمحت وأنا في المدرسة المتوسطة، أن عددًا من طلاب المدرسة الابتدائية طال بقاؤهم في الساحات الخارجية، ولهذا رجعت مسرعًا وسألت الطلاب

الصغار - والصغار يصدقون ولا يكذبون - أين المعلم؟ فقالوا: إنه طلب من عريف الفصل مراقبتهم، وخرج من المدرسة، وعند ذلك أسرعت إلى غرفة مدير المدرسة فوجدته جالسًا مع عدد من المعلمين يتبادلون الأحاديث والنّكات، وسألته عن أولئك الطلاب الذين هم في الساحة فلم يعلم، وقد هممت بضربه وبلغ الغضب مني مبلغه، وكان هذا الموقف من المواقف النادرة في حياتي التي يزداد فيها نبض القلب، ويبلغ الأسى مبلغه والألم مداه؛ إذ كيف هذا التراخي ونحن قبل قليل لديهم؟ ولمَ هذا الإهمال - ونحن المسؤولين - بالقرب منهم؟ ألا يرعون الأمانة؟ ألا يتقون الله في

هؤلاء الصغار؟ ألا يعلمون أنهم رُعاة وأن كل راعٍ مسؤول عن رعيته كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح.

وحين عُدت إلى الرياض صدرت برقية فورية لمدير التعليم في تلك المنطقة بنقل مدير تلك المدرسة من العمل القيادي ومحاسبته على ذلك التسيب، والتحقيق مع المعلِّمَيْن اللذيْن تركا الطلاب وخرجا لقضاء حوائج يسيرة مع نقلهما ومحاسبتهما على ذلك الإهمال والتعميم على مدارس المنطقة بهذا الإجراء.

كما طلبنا تقارير الموجه التربوي المسؤول عن تلك المدرسة، وتم لفت نظره لعدم جديته

في المتابعة والمحاسبة، وتم توجيه خطاب شكر لذلك المعلم الألمعي في تلك المدرسة الذي سرنا تفاعله، وأن تعمم إدارة التعليم على جميع مدارسها خطاب الشكر لذلك المعلم. كما دونت رسالة شكر وتقدير لهذا المعلم نشرتْهَا رسالةُ المعارف التي تصدر لجميع مدارس المملكة بعددها السادس في شهر شعبان عام ١٤١٥هـ ليزيد المجتهد في عطائه ولتكون حافزًا لغيره وقلت في تلك الرسالة:

أب لطلابه ومرب لأبنائه، شد انتباههم وملك مشاعرهم، الكل يقظ والجميع مرتبط خط جميل، وإلقاء فصيح، وإبداع في

الوسائل، وتجديد في النماذج، حروف مفرقة يلونها الطلاب، وكلمات باهتة يوضحها الأطفال، السبورة مشكلة كلماتها، ملونةٌ جمَلُها، قد اغبرت يداه، وابيضت شفتاه، مقبل يقظ كأنه الصقر في الملاحظة، يلمح طالبًا داعبه النعاس فيدعوه إلى السبورة ليكتب حرفًا ويرفع يديه ويتأرجح معه في أبوة حانية، ويردد والطلاب من ورائه: أنا بطل أنا بطل، يطرد الكآبة ويمنع السآمة.

أبهجهم بحركاته، وسرهم بتعامله، رقةً ولطفًا، لينًا وحزمًا، ينادي هذا باسمه، ويصوت لذاك بمدحه، يتسابق الطلاب إلى الإجابة

ويتبارى الصغار في المتابعة.

إنه معلم، ونعم المعلم، أدى الأمانة وحفظ الراية، فله تقديري، وإليه ثنائي، إنه المعلم/ عودة مهنا محمد السريحي، لقيته فجأة في مدرسة .... حيث كانت الزيارة مفاجئة فكان المشهد التربوي جديراً بالتسجيل، حرِيّاً بالإشادة.

ولقد كان الانطباع في مكانه، والتصور في موضعه، فالموجهون يجلونه، أشادوا به قبل إشادتي، وأثنوا عليه قبل ثنائي.

إنك أيها الأخ المعلم نموذج لآخرين أرجو أن أراهم كما رأيتك، وإنك واحد من مئات

أجزم بوجودهم، رعاك الله أيها الزميل وزاد من أمثالك.

أخوك

د.عبد العزيز الثنيان

هذا وزرت مجموعة من المدارس في منطقة أخرى وعندما دخلنا إحداها فوجئنا بمدير المدرسة وقد اشتد غضبه وفي فيه مسواك أطبق عليه أسنانه وبين يديه طالب يضربه، وحين رآنا المدير ركل الطالب برجله أن قُم واذهب، ولكن الطالب وقف بكل شموخ وإباء، وكاد يضرب مدير المدرسة، لولا أن تدخلنا لتهدئة الموقف، وتبين أن المشكلة، هي أن الطالب جلس بعد

انتهاء وقت الفسحة ليكمل إفطاره، ولكن المدير زجره ثم تطور الأمر وصارت هذه المشادة وهذه المصارعة، وهذا الموقف المحرج لمدير المدرسة ولو أنه عالج الأمر بصورة أهدأ، وبالرفق واللين لكان أجدى وأصوب.

وتجولنا في تلك المدرسة وساءتنا الحالة التي عليها ساحاتها وممراتها؛ فعلب المشروبات متناثرة وبقايا الأطعمة مبعثرة، وكان مدير المدرسة يرافقنا وقد اصفر وجهه خجلاً وحياءً وعاتبته برفق وبيَّنْتُ له أننا قدمنا من مدرسة مماثلة بالقرب منه؛ وأننا وجدنا طلابها في منتهى السلوك والأدب، وأنهم كانوا يتسابقون إلى

نظافة مدرستهم؛ فقد عودتهم تلك المدرسة على النظام والاحترام وأخبرته كذلك بما رأيناه عندما زرنا اليابان حيث وجدنا الطلاب هناك يتبارون في نظافة مدرستهم، ويتسابقون لمسح فصولهم، وأعلمته أننا رأينا في كل فصل رُفوفًا يوجد فيها مناشف بعدد طلاب الفصل حيث يقوم الطلاب مع أساتذتهم بمسح فصولهم وممراتهم ولم يجدوا في ذلك عيبًا ولا منقصة.

وساءني جواب الرجل، ودل على جهله وحمقه فقد قال: إن طلاب مدرسته يختلفون عن غيرهم، فهم مُشاكسون وصعب التعامل معهم ولابد من الحزم معهم، أما موضوع

النظافة فتوجد شركة للنظافة سوف تنظف الساحات والممرات بعد خروج الطلاب.

وعند ذلك اتفقت مع مدير التعليم بأن هذا الرجل لا يصلح للعمل القيادي التربوي؛ ولهذا تم إعفاؤه من إدارة تلك المدرسة.

obeikandl.com